الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضـي

الحلقة الخامسة بعد المائة

مقدمة البرنامج..

مؤثرات..

سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم تحية وبعد: فإنّي أحمد الله إليكم وأرجو أن يكون لقاؤنا اليوم مناسبة طيبة لمتابعة الحوار الذي بدأنا به وقطعنا أشواطاً منه في لقاءات سابقة. ولعلكم تذكرون أن جانباً من جوانب التهذيب الحضاري هو الذي جرى الحديث حوله فتعرفنا من خلاله إلى بعض آداب اللياقة في القرآن كما تبين لنا فيه حرص الإسلام على صيانة الأعراض وحماية الحرمات. ولما كان الحوار عن آداب اللياقة وبالتالي آداب المجالس والحديث في حاجة إلى مزيد من العرض فإنّي أتمنى على أستاذينا الكريمين التفضل بافتتاح لقاء اليوم.

سالم: " فترة صمت " أيها الأخوة.. أيها الأبناء. نحن لا نأتي بجديد إذا قلنا إن الإسلام قد كسب قلوب الملايين من المؤمنين بالحكمة والموعظة الحسنة. ذلك لأن قوته نابعة من قوة الحق والحق لا يبلغ العقول ولا يحتل القلوب إلا بالحوار المفتوح والخلق الحسن.

مساعد: ولا عجب في ذلك لأن كتاب الله كما قررنا في لقاء سابق قد أعطى صورة كريمة نبيلة للمسلمين وسماهم " عباد الرحمن " فقال عز من قائل في سورة الفرقان: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66)﴾

جاسم: هذه صورة فريدة لنوع من الناس يجتمع فيه النقيضان على قدر موزون. إنها تذكرنا يا أستاذ مساعد بكلمة الرومي الذي وصف المسلمين يوم اليرموك لقائده فقال له: إنهم رهبان في الليل فرسان في النهار.

سليمان: كما أن هذه الصورة تقدم إلينا نموذجاً من الناس لم تتعارف البشرية عليه ولم تستطع أن تصنعه لا قبل الإسلام ولا بعده لكأن هذا النموذج هو تعبير أصيل عن الشخصية الحضارية التي تميز بها الإسلام في تعامله مع كل الشعوب بل مع الطبيعة والأكوان أيضاً. فكيف استطاع الإسلام أن يصنع هذا النموذج الفريد؟

سالم: الجواب يا سليمان نجده في المنهج القرآني الذي وصف من قبل الله عز وجل بأنه منهج الفطرة في قوله عز من قائل في سورة الروم: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)"

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

.. والجدير بالذكر أن كل المناهج التي تميزت بها الحضارات البشرية باستثناء حضارة الإسلام لم تكتشف أهمية الحفاظ على التوازن الفطري. ذلك لأن انطلاقها لم يكن من مصدر الحق.

مساعد: نعم أيها الأخوة.. أيها الأبناء.. إن القرآن الذي جاء بالحق وبالحق نزل هو وحده الذي عين للمسلمين المنهج الذي يجتمع فيه التواضع في جنب الله والقوة في مواجهة التحديات الخارجية دفاعاً عن دين الله. والعزة التي تنسب إلى المسلمين في قوله تبارك وتعالى: " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ " يجب أن تفهم في هذا الضوء.

جاسم: شكراً لكما على هذا الإيضاح.. ومن هنا نستطيع أن نتابع الرحلة مع آداب اللياقة في كتاب وآداب المجالس والأحاديث. فهل للأستاذين الفاضلين أن يحدثانا حديث هذه الآداب؟

سالم: لن نألوَ جهداً يا جاسم في تسليط الضوء على جانب آخر من جوانب هذه الآداب لكننا في الوقت نفسه ولكي نستوفي كامل مفهوم العبودية للرحمن نتابع استعراض الخصائص التي يتميز بها عباد الرحمن كما جاءت في كتاب الله.

سليمان: لعلك تريد متابعة الآيات التالية التي جاء فيها قوله عز وجل في سورة الفرقان: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) "..

سالم: بلى يا سليمان.. فإنّ ما تلوته من كتاب الله يكمل الصورة الخاصة بعباد الرحمن.. فهم إذاً العباد المخلصون المتواضعون في جنب الله والممتنعون عن مقابلة السيئة بالسيئة إلا في حدود ما أمر الله به ثم هم المعتدلون في إنفاقهم فلا هم يسرفون في النفقة ركضاً وراء المظاهر ولا هم يقترون فيها تكالباً على متاع الدنيا وأخيراً هم الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يعتدون على دماء الناس وحرماتهم فإذا قتلوا نفساً أو صادروا مالاً أو أوقعوا عقوبة فإنّما يفعلون ذلك بالحق ودفاعاً عن الحق.

مساعد: الآن وقد كملت هذه الصورة ننتقل إلى خطنا الأساسي فنلاحظ كما جاء في سورة المجادلة أن القرآن حريص على تذكير المسلم بأن الأدب الذي يجب أن يلتزم له ليس ثمرة لخوفه من الناس ولا هو إرضاء لأي مخلوق من المخلوقات بل إن الالتزام هو ثمرة إيمان المسلم بالحضور الإلهي الدائم. فلا يظن أحد أن في و سعه أن يخفي عن الله عز وجل قولاً يقوله في السر حتى مع نفسه أو يتناجى به مع الآخرين.

جاسم: هذا شيء طبيعي يا أستاذ مساعد.. فما دام أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في السماوات والأرض فإنّ من المسلم به أن يعلم السر وأخفى. مصداق ذلك في قوله عز من قائل من سورة المجادلة: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7) "..

سليمان: وقبل أن يجري التعقيب على ما قاله أخي جاسم أرجو أن يقال لنا أيضاً ما هو المحتوى التربوي الأصيل لما جاء في الآية التي وردت على لسان أخي جاسم.

سالم: حسن يا سليمان.. إن في وسعنا أن نجد الجواب فيما تلا من آيات الذكر الحكيم.. فنلاحظ أن القرآن قد شرح المعنى المجمل الذي جاء في قوله: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ " بلفت الأنظار إلى أولئك المنافقين الذين نهوا عن النجوى ثم إليها رغم ذلك. والمقصود بالنجوى هنا هو التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول..

مساعد: ولعلكم تذكرون ما قررناه في لقاء سابق من أن النفاق هو أشد من الكفر بل هو كفر خالص.. إن أصحابه هم الأعداء السريون لهذا الدين يقولون ما لا يفعلون ويظهرون غير ما يبطنون فهم أسوأ نموذج للفساد والتخريب والعدوان على أعراض الناس.. وكما كانت التربية الإسلامية حريصة على تربية النفوس تربية خالصة من الأكدار صريحة من كل هجنة فإنّ كل تعكير لها أو افساد لمحتواها هو عدوان مباشر على دين الله.

سالم: وقد جاء هذا التحذير من تناجي المنافقين بالإثم في قوله عز وجل في سورة المجادلة: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8) "..

جاسم: إذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن كثيرين من الناس غافلون عن خطورة التناجي بالإثم. فكم من مجلس يتندر فيه الحاضرون بتداول الشائعات السيئة وهم يظنون أنهم في نجوة من العقوبة.. فكيف نواجه هذه الظاهرة؟

مساعد: المواجهة الصالحة يا جاسم هي بمصارحة الناس بقول الحق.. أن نحذرهم من نتائج التناجي بالإثم في المجالس الخاصة وأن نقول لهم: إن سلامة المجتمع المسلم مشروطة بسلامة ما تطويه القلوب من العواطف والأفكار والميول.. بل نستطيع أن نقول أكثر من ذلك: إن بنية المجتمع الإسلامي تستند إلى قواعد أساسية تتمثل في الوعي الخلقي. وبعبارة أخرى تتمثل في انضواء المسلم بكامل عقله وقلبه وروحه في ظل الحقيقة الإسلامية بحيث لا يفكر ولا يتصرف ولا يتعامل مع الناس إلا في ضوء التعاليم الإسلامية..

سليمان: هذا الكلام يذكرنا بحقيقة تاريخية ندرك بها أسرار التقدم والتراجع في المجتمعات البشرية بعامة والمجتمع الإسلامي بخاصة. لقد تبين لنا من تتبعنا لمسيرة الأمم في التاريخ أن هذه الأمم لم تحقق نهضتها إلا بقوة الأخلاق. فإذا فسدت أخلاق الناس فيها فقد فسدت بنيتها الحضارية كاملة..

جاسم: وإذاً فإنّ في وسعنا القول بأن هناك علاقة طردية بين الإيمان وقوة الأخلاق. فالأمة حين تفتقد حلاوة الإيمان لا تلبث أن تفتقد فضائل الصراحة والصدق والاستقامة وهي كلها صفات خلقية.

سالم: أعتقد أنكما كليكما على حق.. ومما يلفت النظر أن القرآن الكريم لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بالذكاء وسعة المعرفة ودقة الملاحظة ذلك لأن العلم الذي جاء به النبي هو من علم الله فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. لكن القرآن الكريم مدح النبي المصطفى عليه السلام بقوله: " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ " وهذا يعني أن أعظم ما تمتاز به الأمم ليس هو سعة المعرفة بل هو الخلق القوي الكريم.

مساعد: وفي هذا النوع من التقييم تثبت لنا حقيقة حضارية هامة هذه الحقيقة هي التي يتقرر بها أن عزّة الأمم ونهضتها ليستا مشروطتين بكثرة العلماء بل قوة الأخلاق.

سليمان: ألا ترى يا استاذ مساعد أنك قد تجاهلت بذلك دور العلم في صنع نهضات الأمم وتحقيق تقدمها؟

مساعد: كلا يا سليمان.. ذلك لأن فعالية العلم وقيمته مرتبطتان بالمستوى الخلقي الذي ترتفع الأمة إليه.. إن الأمة ذات الخلق الرفيع تستطيع أن تصنع العدد المطلوب من العلماء والمهندسين والخبراء.. لكن الأمة التي تملك عدداً كبيراً من العلماء لا تستطيع أن تتميز بالأخلاق الرفيعة القوية.. وليس أدلّ على ذلك من أن كل الحضارات قد نهضت بأمم لا علم لها بل لها أخلاق، والأخلاق بدورها تصنع العلم والعلماء. فإذا بلغت نهايتها وبدأت تتفكك وحدتها فإنّ هذا التفكك هو ثمرة الفساد الخلقي رغم العدد الكبير الذي تحتويه من العلماء.

سالم: ونحن بذلك لا نقصد إلى التقليل من قيمة العلم ولا تجاهل الدور البناء الذي يقوم به ولكننا نقصد إلى تعيين حجمه الحقيقي في صنع التقدم الحضاري. إن العلم سلاح بأيدي الناس فإنّ أحسنوا الإفادة منه كان خيرا لهم وإن أساؤا الإفادة منه كان شراً لهم. والإحسان والإساءة شيئان في صميم الأخلاق لا المعرفة.. من هنا يجب أن نتنبه لمعنى قوله تبارك وتعالى للنبي عليه السلام: " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ " في الوقت نفسه الذي يقول فيه أيضا له " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ".. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهايـة....